SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.20 NO. 2 2021
DOI: 10.51984/JOHS.V20I2.1730

مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية
Sebha University Journal of Human Sciences

Journal homepage: https://sebhau.edu.ly/journal/index.php/johs

السيرة النبوية و أثرها في أساليب الدعوة

عائشة محمد علي البريكي

قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة سبها، ليبيا

الملخص

لا بد لمن أراد النجاة في هذه الدنيا بإتباع المنهج الربَّاني في جميع شؤون دنياه وآخرته ، وأن يتأسى بالرسول الأعظم r ، ويأخذ بالسيرة النبوية تفكراً وتدبراً على أنها المنهج الربَّاني القويم الذي عاشَهُ سيدنا رسول الله r واقعاً عملياً في جميع شئون حياته، ففيها الهدي والرشاد للقادة والمقودين والحكام والمحكومين والمرشدين الموجهين، وفيها الأسوة الحسنة في جميع المجالات : في السياسة، والحُكم، والاقتصاد والمال ، والاجتماع ، والعلاقات الإنسانية، والأخلاق الفاضلة، والعلاقات الدولية ، فما أحرى بالمسلمين اليوم وقد انحدروا في مهاوي الجهالة والتخلف؛ لابتعادهم عن هذا المنهج – أن يعودوا إلى صوابهم وأن يقدموا السيرة النبوية في كل أمور حياتهم ؛ لأن فيها طريق العودة إلى الله U ، وبها صلاح الناس وفلاحهم ، فهي الأسلوب العملي لترجمة كتاب الله U سلوكاً وأخلاقاً ، حتى يصبح المؤمن محتكماً إلى شريعة الله I ومحكماً لها في جميع شؤون الناس.

الكلمات المفتاحية:

أثر
أساليب
الدعوة
السيرة
النبوية

Biography of the Prophet and its impact on the methods of da'wah

Aisha Mohamed Ali Briki

Department Of Islamic Studies College of Arts, Sebha University, Libya.

A B S T R A C T

it is imperative for those who want to be saved in this world by following the divine approach in all the affairs of this world hereafter, and to follow the example of the greatest messenger, peace and blessings be upon him, and take the prophet's biography reflects and contemplates that it is the right divine approach that our master, the messenger of god, may god bless him and grant him peace, lived in practically in all the affairs of his life. the teachings have the right guidance and the best examples for all to follow such as politics, economy. finance, social issues, international relationship, etc. fairly, muslims today have descended into the abyss of ignorance and backwardness. to move away from this approach - to return to their senses and present the biography in their all issues of their life.

Keywords:

Effect
Style
invitation
Biography
prophetic

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فجعله شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وجعل فيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والرسل أجمعين بشّر وأنذر، أنقذ الله به الناس من الضلال وهداهم إلى صراط مستقيم النبي الأمي الأمين وعلى آله وأصحابه هداة الأنام ومصابيح الظلام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد .

فإن السيرة النبوية المطهرة – وهي العطاء المتجدد والزاد الباقي إلى يوم الدين والتي يتسابق المتسابقون، ويتنافس المتنافسون، إلى الحديث عنها وكتابة الكتب وغيرها في مواضيعها منذ بعثة الرسول-ﷺ - حتى تقوم الساعة . تضع للمسلمين النموذج العملي الواقعي لما ينبغي أن يكون عليه سلوكهم وأفعالهم وأقوالهم وعلاقاتهم بربهم ، ثم بأهلهم والناس أجمعين

لذلك آثرت البحث في هذا الموضوع (**السيرة النبوية و أثرها في أساليب الدعوة**) في القرآن الكريم والسنة الشريفة والسيرة المطهرة ، وتتبع الآيات الدالة عليها والأحاديث الواردة فيها ، وإظهار ما تحويه هذه الآيات والأحاديث من دلالات على أن تكون السيرة هي المنهج المتبع . لقد رصدت العديد من الدراسات حول هذا الموضوع وهي متفرقة بين كتب التفاسير، والسيرة النبوية ، وكثير من الوقفات التربوية فيها وكتب فقه السيرة النبوية ؛ أهمها فقه السيرة

*Corresponding author:
E-mail addresses: ais.albrki@sebhau.edu.ly
Article History : Received 12 July 2021 - Received in revised form 17 August 2021 - Accepted 30 December 2021

النبوية د. محمد سعيد البوطي .

وبما أن الدراسة تقوم على جمع المادة العلمية وتحليلها وما تم جمعه من المادة العلمية ، وإظهار هذه الآثار العظيمة التي تظهرها السيرة النبوية إذا اتخذها الناس منهجاً ومنهاجاً في حياتهم الدنيا لذلك اعتمدت خطة بحث تتضمن مقدمة ، وتمهيد ، ومجموعة عناصر وخاتمة والهوامش مرقمة حسب ما جاء في البحث ، بالإضافة لقائمة المصادر والمراجع

وجاءت خطة البحث كما يلي : تعريف الأثر – وتعريف السيرة – وبينت أهمية السيرة النبوية - وأهدافها - وأثر السيرة في أساليب الدعوة – ثم ذكرت بعض من صفات الكمال للرسول - ﷺ - وختمت البحث بخاتمة لخصت فيها النتائج التي توصلت إليها.

هذه الأساليب التي اشتملت عليها السيرة النبوية التي حصيلتها النهائية هي أن يستقيم المجتمع ويسعد أفراده وهذا هو غرضنا لعلنا نطبق ذلك فنسعد .

النتائج والمناقشة

الأثر في اللغة : أثر فيه تأثراً : ترك فيه أثراً .[1] وأثر الحديث عن القوم وتأثر أثراً : أي أنباهم بما سبقوا فيه من الأثر، والحديث : حدّث به عنهم في أثارهم .[2] والحديث مأثور: أي مقبول وهو حدوث ما يدل على وجود شيء.[3] ، و قال- تعالى- : ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي ﴾(طه:84)؛ أي : بعدى بقليل .[4] وقال تعالى أيضاً : ﴿ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ) (الصافات :70)؛ أي : على طريقهم وبسنتهم .[5] والمآثر: ما يروى من مكارم الإنسان ، ويستعار الأثر للفضل وأصله من تتبعت أثره : أي يُكتب فيبقى له أثر، ومنه مآثر العرب لمكارم أخلاقها.[6]

وأثر السيرة النبوية هو ما يجب أن تتركه من أثر في حياة الناس فالسيرة النبوية هي الترجمة العملية لمبادئ الإسلام ، فهي التطبيق العملي الفعلي لشرعته ومنهاجه ، فقد قيض الله ﷻ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى يكون المثل الأعلى ؛ لأن التطبيق العملي في الحياة لابد له من مثل أعلى لاقتفاء أثره ؛ لذلك جمع الله ﷻ فيه صفات الكمال البشري ، فقال عنه ربه ﷻ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم :4) ، وقالت عنه السيدة عائشة - رضي الله عنها- : كان قرآناً يمشي على الأرض ". وقال قتادة يا أم المؤمنين أنبئيني عن خُلق رسول الله ﷺ قالت: " أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قُلْتُ بَلَى : قَالَتْ كان خُلق نَبِيّ الله القرآن ".[7] ومعنى هذا أنه ﷺ صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقاً ، تَطبَّعهُ وترك طَبْعَهُ الجِبلّي ، فما أمره القرآن فَعَلهُ وما نهاه عنه تَرَكه ، هذا مع ما جَبَلهُ الله تعالى عليه من الخُلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل .[8] كما قال أنس : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أُفٍ قط ولا قال لشيءٍ فعلته : لما فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله : ألا فعلته ؟ وكان أحسن الناس خلقاً، ولا لمست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ.[9] وجاء في الحديث عن عائشة " مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ وَلا امْرَأَةً وَلا خَادِمًا . إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ. وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ "[10].

أهداف دراسة السيرة النبوية :-

إن دراسة السيرة لها أهداف سامية ومقاصد نبيلة وكثيرة منها :

أولاً - فهم شخصية النبي محمد ﷺ :

تؤكد شخصيته ﷺ من خلال حياته وظروفه التي عاشها أنه لم يكن مجرد عظيم من العظماء بين قومه ولكنه قبل ذلك رسول أيده الله ﷻ بوحي من عنده وتوفيق من لُدُنه ، فمما نستفيده من شخصيته قبل البعثة أولاً ؟ أنه كان ، بشراً، ويتيماً وأُمّياً .

أما أنه بشراً ؛ فهي حكمة من الله تعالى فقد جعله وسائر الأنبياء والرسل من البشر ، ويجوز عليه من الآفات والتغيرات والآلام والأسقام ما يجوز على البشر قال تعالى :- ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ (الأنعام :9) جاء في التفسير " أنه لا يمكن رؤية الملك في صورته إلا بعد التجسيم بالأجسام الكثيفة ؛ لأن كل جنس يأنس بجنسه وينفر من غير جنسه ، فلو أرسل الله تعالى إلى البشر ملكاً لنفروا من مقاربته ، ولما أنسوا به ، ولدخلهم الرعب ويمنعهم عن سؤاله فلا تعم المصلحة ، ولو نقله من صورة الملائكة إلى مثل صورتهم ليأنسوا به وليسكنوا إليه لقالوا : لست ملكاً وإنما أنت بشر فلا نؤمن بك وعادوا إلى مثل حالهم ، وكانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة البشر".[11] ولو كان ملائكة لما استطعنا اتباعه ، ولا استطعنا أن ننهج منهجه ولا كان في مقدورنا أن نقتدي به ؛ ولكن خلقه الله ﷻ بشراً يعيش آلامنا وآمالنا يجوع كما نجوع ، ويظمأ كما نظمأ، وينام كما ننام ، ويتزوج النساء ويغضب ويرضى ، ويضحك ويبكي، فهو بشراً مثلنا مثله نتبعهُ ونستطيع إتباعه ، وهذه الحكمة من كونه بشراً ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ...»[12] ، أما كونهِ يتيماً : فقد " أرادت حكمة الله ﷻ أن ينشأ رسول الله ﷺ يتيماً تتولاه عناية الله وحدها بعيداً عن اليد التي تُمعن في تدليله والمال الذي يزيد في تنعيمه ؛ حتى لا تميل به نفس إلى مجد المال والجاه . وحتى لا يتأثر بما حوله من معنى الصدارة والزعامة فتلتبس على الناس قداسة النبوة بجاه الدنيا ".[13] ؛ أي ليس عنده مقومات أرضية تجعله يسود على العرب ، أو يطلب ملك أبيه فأتى وهو يتيم ليس عنده منصب وليس صاحب ثروة . وأما كونهِ أمياً : يعني أنه لا يقرأ ولا يكتب، ولكن مع كونه أمّي نزل القرآن مباشرةً على قلبه ، وكان يرتجِل الخطبة ولا يلْحن في كلمة ، وهذه الكتب والخطب كلها من ميراثه ﷺ .

ثانياً - الحب النبوي :-

أول شيء يكسبه دارسي السيرة النبوية هو حب النبي ﷺ ، قال ﷺ : " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإيمان من كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ. "[14] و قال ﷺ - : "لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ ، وَوَلِدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ "[15]. ويقال " الحب من الله عصمة وتوفيق ، ومن العباد طاعة . وقال بعضهم : محبة الرسول اعتقاد نصرته ، والذب عن سنته ، والانقياد لها وهيبة مخالفته ، وهي دوام الذكر للمحبوب. "[16].

ومن علامات حبه ﷺ :

1- الشوق والحنين إليه ﷺ :

ويكون الشوق والحنين بتتبّع آثاره والتلفظ بألفاظه وهذا الحب يعرفه الصحابة - رضوان الله عليهم جميعاً- حيث ذكر ابن كثير : " أن رجلاً من الصحابة ، قال : يا رسول الله ، والله إني أحبك أكثر من أهلي، ومالي، وولدي ونفسي، والله يا رسول الله إني أتذكرك وأنا في البيت ، فأخرج عامداً لأرى وجهك وأخشى يا رسول الله أن تموت وأموت فتدخل الجنة ويرفعك الله مع النبيين في منزلة عالية ، وأكون في الربض إذا دخلت الجنة فمتى أراك ، فسكت ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً ﴾ (النساء :69

) فقرأها ﷺ . ويقول عمر : والله يَا رَسُول اللهِ لأنْت أَحَبُّ إِلَيّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إلا مِنْ نَفْسِي ، فقال ﷺ: «لا ، والذي نفسي بِيَدِهِ حتى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ قَالَ لَهُ عُمرُ فَإِنَّهُ الآن وَاللهِ لأَنْتَ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، ، فَقَال النَّبِيُّ -ﷺ- : الآنَ يَا عُمَرُ »[17] .

2 : إتباع سنته ﷺ:-

إتباع سنة وهدي رسول الله قولاً وسلوكاً وعملاً ظاهراً وباطناً سرًا وعلانيةً من علامات محبتهُ ﷺ فقد قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمرآن :31) وقال- سبحانه وتعالى- أيضاً : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (الأحزاب :21) وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: 128) وقال ﷺ : « "لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ ، وَوَلِدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ »[18]، ومن علامات حبه ﷺ عدم الاعتراض على شريعته أو الاستهزاء بسنته التي أعلاها لا اله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، وفعل كل سلوك فعله ﷺ هو من السنة المطهرة ، فمن استهزأ بشيء منها بعد أن علم أنها سنة صدُق عليه قول الله - تعالى - ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿65﴾ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ (التوبة :65،66) ويقول ﷺ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء :65)

3 : كثرة الصلاة والسلام عليه ﷺ :

إن الصلاة على الرسول ﷺ هي نور، ولها أجر عظيم ، وفضل كبير، « يقول أُبي بن كعب : يا رسول الله كم أجعل لك من صلاتي ، قال : ما شئت، قال: الربع ، قال ما شئت قال الثلث، قال ما شئت أن زدت فأحسن قال : النصف ، فقال ﷺ : ما شئت ، حتى قال أبي بن كعب سأجعل لك دعائي كله يا رسول الله ، فقال له الرسول ﷺ إذاً تُغفر ذُنبك وتُكفي همك »[19].

4- نشر سنته ﷺ :

ويكون نشر سنته تعليماً وتدريساً وفتوى ودعوة وتبليغاً ، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر فقد قال ﷺ : « بَلِغُو عَنِّي وَلَو آية »[20] ، وقال أيضاً : « نَضَّرَ اللهُ امرأ سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفَظَهَا وَ بَلَّغَهَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْه إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ثَلاَثٌ لاَ يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ إِخْلاصُ الْعَمَلِ للهِ وَ مُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَ لُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ فإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ »[21]. " أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلمن أصول الدين ، وهو شغل الأنبياء وقد خلفهم فيه خلفاؤهم ، ولولاه لشاع الجهل وبَطُلَ العلم " [22] . وقال رسول الله ﷺ : « لتأمرون بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليسلطن الله شراركم على خياركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم »[23] . ونعلم أنه قد اضمحل في هذا الزمان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً .

ثالثاً - القدوة الحسنة :-

من أهداف السيرة النبوية أيضاً الاقتداء برسول الله ﷺ وتكون القدوة الحسنة من خلال شخصيته وأقواله وأفعاله وتصرفاته ، إن وجود القدوة الحسنة في حياة الأمم والشعوب والدعوات ضرورة حتمية ليُقتدَى بها وتُكتسب منها المعالم الإيجابية في الحياة ، سواءٌ مع الله تعالى في أداء العبادات والفرائض أو مع النفس وتزكيتها وتربيتها على الأخلاق الفاضلة ، أو مع الأهل والأبناء داخل الأسرة من أجل بناء أسرة متماسكة ، أو مع المجتمع في أمور الدين والدنيا.

لذلك جعل الله ﷻ الرسولَ ﷺ قدوةً ونموذجاً يُجسِّد الدين الذي أُرْسِلَ به ، حتى يعيش الناس مع هذا الدين ورسوله واقعاً حقيقياً بعيداً عن الأفكار المجردة ، فكان الرسول ﷺ خيرَ قدوة للأمة في تطبيق هذا الدين ، ليكون مناراً لها إلى يوم القيامة. فالاقتداء أساس الاهتداء ، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: 21).

لقد كان النبي ﷺ قدوةً كاملةً في جميع جوانب سيرته ، إيمانياً وعبادياً ، خُلقاً وسلوكاً وتعاملاً مع غيره ، وفي جميع أحواله ، كانت سيرته مثالية للتطبيق على أرض الواقع ، ومؤثرةً في النفوس البشرية ؛ فقد اجتمعت فيها صفات الكمال واقترن فيها القول بالعمل ، ولا ريب أن القدوة العملية أقوى تأثيراً في النفوس من الاقتصار على الإيحاء النظري ، وأرسل الله سبحانه الرسولَ ﷺ ليكون للناس أسوةً حسنةً يقتدون به ، ويتأسون بسيرته . ذلك أن القدوة لا تزال مؤثرةً ، وستبقى مؤثرةً في النفس الإنسانية ، وهي من أقوى الوسائل التربوية تأثيراً في النفس الإنسانية ، لشغفها بالإعجاب بمن هو أعلى منها كمالاً ، ولأنها مهيأة للتأثر بشخصيته ومحاولة محاكاته ، ولا شك أن الدعوة بالقدوة أنجح أسلوب لبثّ القيم والمبادئ التي يعتنقها الداعية.

إن المصطفى الكريم ﷺ هو إمام الدعاة ، وهو القدوة والأسوة والمعلم والمربي الحكيم الذي أمر الله تبارك وتعالى باقتفاء نهجه ، وأن نقتدي به في عبادتنا ودعوتنا وخلقنا وسلوكنا ومعاملاتنا وجميع أمور حياتنا، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(يوسف: 108).

رابعاً - التعرف على حياة الصحابة :

صحابة رسول الله ﷺ هم الذين صَحِبوه وجاهدوا معه فلا نستطيع إلا محبتهم والسير على نهجهم وإتباع سبيلهم ، فمن السيرة نعرف قدر أبي بكر، وعدل عمر، وبذل عثمان ، وشجاعة علي، وثبات بلال، وثقة معاذ، وقرآنية ابن مسعود ، وصدق أبي ذر، وحفظ أبي هريرة، وذكاء سلمان ، وغيرهم من الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - هذا فضلاً عن أمهات المؤمنين فنتعرف على صبر خديجة ، وعلم عائشة ، وفضل سودة ، وبركة جويرية ، وغيرهن من أمهات المؤمنين، ونرى جهاد الصحابيات وقد ضربن المثل في التضحية والبذل من أجل دين الله ؛ كفضل سمية في مكة، وأسماء في الهجرة ، ونسيبة بنت كعب يوم أُحد، وغيرهن من الصحابيات الجليلات . ولم يزل الرسول ﷺ يغذي أرواحهم برغائب الإيمان ، ويزكي نفوسهم بتعلّم الحكمة والقرآن ، ويربيهم تربية دقيقة عميقة ويحذوا بنفوسهم إلى منازل سمو الروح ، ونقاء القلب ، ونظافة الخلق ، والتحرير من سلطان الماديات، والمقاومة للشهوات، والنزوع إلى رب السماوات، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويأخذهم بالصبر على الأذى ، والصفح الجميل ، وقهر النفس ، فازدادوا رسوخاً في الدين ، وعزوفاً عن الشهوات ، وتفانياً في سبيل المرضاة وحنيناً إلى الجنة، وحرصاً على العلم وفقهاً في الدين، ومحاسبةً للنفس، وقهراً للنزعات، وغلبة على العواطف ، وتقيداً بالصبر والهدوء والوقار[24].

أثر السيرة في حياة الناس :

إن السيرة النبوية توضح للمسلم حياة الرسول ﷺ بدقائقها وتفاصيلها منذ ولادته ﷺ وحتى موته ﷺ مروراً بطفولته وشبابه ، فيجد فيها كل بغيته ، ففي حياته -عليه الصلاة والسلام - نماذج سامية للشاب المستقيم في سلوكه الأمين مع قومه وأصحابه ، فتقدم نموذجاً رائعاً للداعي إلى الله - تعالى - بالحكمة والموعظة الحسنة ، الباذل كل الجهد في سبيل إبلاغ رسالته ، فنتعرف على هديه ﷺ في الأمور كلها في الطعام والشراب والنكاح والرحل والترحال ، وفي السلم والحرب هديهُ في التعامل مع النّاس الموافقين له والمخالفين ، وهديهُ في أصول التربية والتعليم قال- تعالى - : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (النور:54) . يقول ابن القيم : " من هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به ، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر ، فإنه لا سبيل إلى السعادة، والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ولا يُنال رضى الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به ، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال ... "[25].

والداعية يجد في سيرتِهِ أساليب الدعوة ، وكيفية التعامل مع الناس ، فمنها تعامله مع أصحابه ، عن عمر ابن العاص قال : " كان رسول الله ﷺ يُقبِل بِوَجهِهِ وحديثِهِ على أشرِ القومِ في تألفُهم بذلك فكان يُقبل بوجه وحديثه عليَّ حتى ظننت أني خير القوم ، فقلت : يا رسول الله أنا خير أو أبو بكر قال أبو بكر، فقلت يا رسول الله ، أنا خير أم عمر ؟ قال عمر، فقلت يا رسول الله أنا خير أم عثمان قال عثمان، فلما سألت رسول الله فصدقني ، فلوددت أني لم أكن سألته"[26]. ومنها موقفه حين لقي قريش يوم فتح مكة ، وكانوا يظنون أنه سينتقم منهم، فقال لهم ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم قال: فإني أقول لكم ما قال يوسف لأخوته :لا تثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء) .

ومنها تعامله مع المعاهدين ومنه زيارته إلى ذلكم الغلام اليهودي والذي كان سبباً في إسلامه عندما جاء ودعاه إلى الإسلام بعد أن مرض فنظر إلى أبيه وكأنه يستأذنه فقال له :(أطع أبا القاسم فقال : أشهد ؟ أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله) فالسيرة تبين للدعاة المراحل التي ينبغي أن يسلكها في الدعوة متأسين بالحبيب القدوة .

ويجد المربي في سيرته ﷺ دروساً نبوية في فن التربية كما قال ﷺ : « إِنَّما أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِمُكُمْ»[27] . فقد كان محمد ﷺ معلماً ناصحاً ومربياً فاضلاً لم يألُ جهداً في تلمس أجدى الطرق الصالحة إلى التربية والتعليم خلال مختلف مراحل دعوته . فقال « يَا غُلامُ سَمِّ اللهِ ، وكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ ، فَمَا زَالتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ»[28].

ونجد دروساً أيضاً في طرق التأثير على الناس ما يسعفه في التعامل مع المتلقين على اختلاف مشاربهم وتنوع بيئاتهم ، فقد قال ﷺ : « إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتاً وَلاَ مُتَعَنِّتاً ، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّماً مُيَسِّراً»[29].

ويجد فيها الفقيه بغيته : ويكفينا قول الإمام أبو حنيفة : معرفة السير، تغني عن كثيرٍ من الفقه. ويجدر بي أن أذكر هنا خطبته ﷺ في مكارم الأخلاق : عن معاذ قال : أخذ بيدي رسول الله ﷺ فمشى قليلاً ثم قال : « يا معاذ أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة ، ورحم اليتيم ، وحفظ الجوار، وكظم الغيظ ، ولين الكلام ، وبذل السلام ولزوم الإمام والتفقه في القرآن ، وحب الآخرة ، واجزع من الحساب ، وقصر الأمل وحسن العمل ، وأنهاك أن تشتم مسلماً، أو تصدق كاذباً، أو تكذب صادقاً ، أو تعصي إماماً عادلاً ، أو أن تفسد في الأرض يا معاذ اذكر الله عند كل شجر وحجر ، وأحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية»[30].

وكذلك رجل السياسة يجد في السيرة ما يرده إلى جادة الصواب ، مثال التعامل مع أسرى بدر وفي قصة صلح الحديبية ، من الدروس السياسية الشيء الكثير فقال تعالى : ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف : 65) لقد استخدم الرسول العلم الذي أعطاه الله تعالى في هذا الصلح بالرغم من اعتراض الصحابة -رضوان الله عليهم- لكنه تمسك به ؛ لأنه يعلم أنه علمه شديد القوى لقد كان هذا الصلح مقدمة بين يدي فتح مكة ، لقد أعطى الرسول ﷺ المشركين كل ما سألوه من الشروط وتساهل معهم في أمور لم يجد أحد من الصحابة ما يسوغ التساهل فيها ، واستبد الضيق بعمر بن الخطاب حتى أنه قال فيما بعد ، مازلت أصوم وأصلي وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ ، لقد كانت هذه الهدنة باباً ومفتاحاً لئن لم يكن المسلمون قد تنبهوا لذلك في حينه ولكن ما إن مضت فترة من الزمن حتى أخذ المسلمون يستكشفون أهمية هذه الهدنة وما انطوت عليه من خير عظيم ؛ فإن سبب ما نعانيه في الدنيا من متاعب هو أننا نقف عند الأشياء الظاهرة فقط فإذا حدث ما نكره اعتقدنا أنه شر، وإذا حدث ما نحب اعتقدنا أنه خير قال تعالى : ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء : 19)

يقول البوطي : أن حياة الرسول ﷺ تقدم إلينا نماذج سامية للشاب المستقيم في سلوكه ، الأمين مع قومه وأصحابه ، كما تقدم النموذج الرائع للإنسان الداعي إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، الباذل منتهى الطاقة في سبيل إبلاغ رسالته . ولرئيس الدولة الذي يسوس الأمور بحذق وحكمة بالغة وللزوج المثالي في حسن معاملته، والأب في حنو عاطفته ... وللقائد الحربي الماهر والسياسي الصادق المحنك . وللمسلم الجامع في دقة وعدل بين واجب التعبد والتبتل لربه ، والمعاشرة اللطيفة مع أهله وأصحابه .

إن السيرة تُبيْن لك كيف أعدَّ رسولُ الله ﷺ جيل النصر المنشود ، وكيف ساق عباد الأوثان إلى الحياة من جديد، وجعل منهم أعلاماً في الجهاد والفتوح، والحضارة والعلوم، والسياسة والفنون . فالسيرة ترسم لك معالم المنهج التربوي في الإسلام، وتشرح لك أهدف هذا المنهج ومقوماته ووسائله ونتائجه . وقد شهد أربابُ التربيةِ أن السيرةَ ذخيرةٌ في القيم التربوية والتي لم تجمعها سيرة إنسان مشى على وجه الأرض.

ومن آثار السيرة أيضا أنها تعلمنا مبادئ كثيرة منها :

1 - التمسك بالدين :

لما رأى الرسول -ﷺ- ما يصيب أصحابه من البلاء وأنه لا يقدر على أن يحميهم ، أمرهم بالهجرة إلى الحبشة ، مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم ؛ فكان في مقدمتهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وأبو حذيفة وزوجته ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم ، حتى وصلوا بضع وثمانون رجلا.

فلماذا كانت هذه الهجرة في سيرة الحبيب ﷺ ؟ كان ذلك للدلالة على أن

التمسك بالدين وإقامة دعائمه هو أساس ومصدر كل قوة وهو السياج لحفظ كل حق من مال وأرض وحرية وكرامة ؛ ومن أجل ذلك كان واجب الدعاة أن يجندوا كل إمكاناتهم لحماية الدين و مبادئه ، وأن يجعلوا من الوطن والأرض والمال والحياة وسائل لحفظ العقيدة وترسيخها؛ ذلك لأن الدين إذا فُقد أو غُلب عليه لم يغني من ورائه الوطن والمال والأرض بل سرعان ما يذهب كل ذلك ورائه .

2 - الغاية والوسيلة :

لقد قام مشركوا قريش بسلسلة من المفاوضات مع الرسول ﷺ حتى يترك هذا الدين وعرضوا عليه عروضا ؛ فقالوا : إذا كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد به مُلكا ملكناك ، علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراها لا تستطيع ردها عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، ولكن الرسول ﷺ رفض كل هذه العروض . بحيث كان من المتصور من باب الحكمة والسياسة أن يرضى رسول الله معهم بالمُلك أو الزعامة على أن يجمع في نفسه اتخاذهما وسيلة إلى تحقيق دعوة الإسلام فيما بعد . خصوصاً وأن للملك والسلطان وازعاً قوياً في النفوس . وحسبك أن أرباب الدعوات والمذاهب ينتهزون فرصة الاستيلاء على الحكم كي يستعينوا بسلطانه على فرض دعوتهم ومذاهبهم على الناس .

والحق أن فلسفة هذا الدين تقوم على عماد الشرف والصدق في كل من الغاية و الوسيلة فكما أن الغاية لا يقومها إلا الصدق والشرف وكلمة الحق فكذلك الوسيلة لا ينبغي أن يخطها إلا مبدأ الشرف وكلمة الحق . من هنا يعلمنا الحق تبارك وتعالى عن طريق سيرة محمد ﷺ أن نتبع الوسيلة الشريفة ما دامت الغاية كذلك .

3 – مسؤولية المسلم عن نفسه و غيره :

جاء الأمر للرسول ﷺ بالجهر بالدعوة بعد أن استمرت سراً ثلاث سنين فقال تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الحجر : 94)، وقال أيضاً: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء: 214) ، وحينئذ بدأ الرسول ﷺ بتنفيذ أمر ربه بأن جمع من حوله جميع ذويه وأهل قرابته وعشيرته ؛ فقال يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرّة أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقذي نفسك من النار؛ فأني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلاها @، كان من الممكن أن يكتفي الرسول ﷺ بعموم الأمر في قوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ إذا يدخل أفراد عشيرته وذوي قرباه في الناس، ولكنه ﷺ أراد أن يبين درجات المسئولية وهي مسئولية الشخص عن نفسه ومن أجل إعطاء هذه الدرجة حقها استمرت فترة ابتداء الوحي تلك المدة الطويلة، ثم أن الدرجة الثانية في المسؤولية هي مسؤولية المسلم عن أهله وذوي قرباه ، والدرجة الثالثة مسؤولية العالم عن حيه أو بلدته، والحاكم عن دولته وقومه [31].

4 - تعليم الصبر:

جاء رسول الله ﷺ ليعلمنا العقيدة الصحيحة والعبادات والمعاملات كذلك جاء يبلغ المسلمين ما كلفهم الله ﷻ به من واجب الصبر ؛ نجد ذلك في جميع ظروف حياته من طفولته حتى موته ولكن هذه المواقف تتفاوت في الشدة ودليل ذلك ما رواه بخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟ فقال لقد لقيت من قومك. وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال. فلم يجبني إلى ما أردت . فانطلقت وأنا مهموم على وجهي . فلم استفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال : إن الله -عز وجل - قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت . قال فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال رسول الله : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً .

وأن ما لاقاه ﷺ في الطائف عندما ذهب يلتمس النصرة من قبيلة ثقيف من طرد وتسليط صبيانهم وعبيدهم عليه ليقذفوه بالحجارة فصبر هو ومولاه زيد ثم رفع يديه للدعاء وقال "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين ،أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علىَّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ،أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.[32]

كان ذلك ليبين لنا أن الصبر من مبادئ الإسلام التي بعث بها للناس كافة ، ومصارعة الشدائد والصبر في سبيل الله .

ثم أنه أراد أن يعلمنا كيف نتوجه بالدعاء في المحنة وأن الشكوى إلى الله تعبدا . والضراعة له والتذلل على بابه تقرب وطاعة ، وأن المصائب و المحن تسوق صاحبها إلى باب الله ﷻ .

وأخيراً فإن دراسة السيرة النبوية ؛ سياحةٌ روحية، تسمو بها النفوس، وتخشع لها القلوب، وتدمع فيها العيون، وتزكو بها الهمم ، وتُشحذ فيها الأرواح والأجسام والعقول والجوارح.

ورأيت أن أذكر صفات الرسول ﷺ وكمال نفسه ومكارم أخلاقه ؛ حتى تكون بين يدي كل من يرغب في امتلاك حبه وتتبع سيرته ﷺ كما وردت في كتب السيرة المشهورة .

أولاً: الصفات الخلقية :

أما الصورة و جمالها وتناسب أعضائه في حسنها، فقد جاءت الآثار الصحيحة المشهورة الكثيرة بذلك . من أنه ﷺ كان أزهر اللون ، أدعج ،أنجل ، أهدب الأشفار ، أبلج ، أزج ، أقنى أفلج ، مدور الوجه ، واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره ، سواء البطن والصدر، واسع الصدر ، عظيم المنكبين ضخم العظام، عبل العضدين والذراعين والأسافل ، رحب الكفين والقدمين ، سائل الأطراف ،أنور المتجرد ، دقيق المسربة ، ربعة القد ، ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير المتردد ، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله -ﷺ-، رجل الشعر ، إذا افترا ضاحكاً افتر عن مثل سنا البرق ، وعن مثل حب الغمام ،إذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه ، أحسن الناس عنقاً ، ليس بمطهم ولا مكلثم ، متماسك البدن ، ضرب اللحم[33].

وكذلك وصفته أم معبد الخزاعية (هي عاتكة بنت خالد) فقالت رأيت رجلا طاهر الوضاءة ،أبلج الوجه: فيه (إضاءة ونور) ، حسن الخَلْق ، لم تعبه ثجْلَة : (عِظَم البطن) ، ولم تزر به صَعْلة : (صغر الرأس) ، وسيم قسيم ، في عينيه دَعَج:(سواد الحدق)، وفي أشفاره عَطَف ، وفي صوته صَهَل : (شبه البحح) ، وفي عنقه سَطَع (الطول) ،وفي لحيته كثاثة ، أزَج :(مقوس الحاجبين) أقْرن ،

إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سماه وعلاه البهاءُ ، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحلاهم وأحسنهم من قريب ، حلو المنطق ، فصل لا نذر:(القليل) ولا هدر(الكثير) ، كأن منطقه خرزات نظم تحدّرْن ربعة ، لا بائن من طول ولا تقتحمه عين من قصر (لا تزدريه فتنبذه)، غصن بين غصنين ، وهو أنظر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به ،إن قال أنصتوا، لقوله وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود : (مخدوم) محشود: (حفوا حوله) ، لا عابس ولا معتد[34].

ثانياً : كمال النفس و مكارم الأخلاق:

1- كان النبي ﷺ يمتاز بفصاحة اللسان ، وبلاغة القول ، و كان من ذلك بالمحل الأفضل ، والموضع الذي لا يجهل سلامة طبع ونصاعة لفظ ، وجزالة قول ، وصحة معان ، وقلة تكلف ، أوتي جوامع الكلم ، وخص ببدائع الحكم ، وعلم ألسنة العرب ، يخاطب كل قبيلة بلسانها ويحاورها بلغتها .

2- الحلم و الاحتمال والعفو عند المقدرة والصبر على المكاره ، ولم يزد مع كثرة الأذى إلا صبراً وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً.

3- الجود والكرم ، كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر قال ابن عباس: وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ﷺ وكان جبريل يلقاه في كل يوم من رمضان.

4 – كان من الشجاعة و النجدة و البأس بالمكان الذي لا يجهل ، كان أشجع الناس وهو ثابت لا يبرح ،.مُقبِل لا يُدبِر ،لا يتزحزح،.قال علي : كنّا إذا حمى الوطيس واحمرت الحَدَقُ ،اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه .

5- كان أشد الناس حياء وإغضاء . قال أبو سعيد الخدري : كان أشد حياء من العذراء في خدرها وإذا كره شيئاً عرف في وجهِهِ، وكان لا يثبت نظره في وجه أحد، خافض الطرف نظُره إلى الأرض أطول من نظرِه إلى السّماء، جُلُّ نظره الملاحظة ، لا يشافه أحداً بما يكره حياء وكرم نفس .

6- وكان أعدل الناس، وأعفهم ، وأصدقهم لهجة ،وأعظمهم أمانة، اعترف له بذلك مجاوروه وأعداؤه ، وكان يُسمّى قبل نبوته الأمين ، ويتحاكم إليه في الجاهلية قبل الإسلام قال ﷻ: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ الأنعام (33).

7- وكان أشد الناس تواضعاً ، وأبعدهم عن الكبر ، يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك ، كان يعود المساكين ، ويجالس الفقراء ، ويجيب دعوة العبد ، ويجلس في أصحابه كأحدهم ، قالت عائشة : كان يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته ، يحلب شاته ، ويخدم نفسه.

8- وكان أوفى الناس بالعهود ، وأوصلهم للرحم ، وأعظمهم شفقة ورأفة ورحمة بالناس ، أحسن الناس عشرة وأدباً ، وأبسط الناس من سوء الأخلاق ، لم يكن فاحشاً ، ولا مفتحشاً ، ولا لعاناً ، ولا صخاباً في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، وكان لا يدع أحداً يمشي خلفه ، وكان لا يترفع على العبيد وإمائه في مأكل ولا ملبس ، ويخدم من خدمه ، ولم يقل لخادمه اف قط ولم يعاتبه على فعل شيء أتركه ، وكان يحب المساكين ويجالسهم ، ويشهد جنائزهم ، ولا يحقر فقيراً لفقره . كان في بعض أسفارة فأمر بإصلاح شاة فقال رجل على ذبحها ، وقال الآخر:على سلخها، وقال آخر على طبخها فقال ﷺ : (وعلي جمع الحطب) ، فقالوا نحن نكفيك. فقال (قد علمت أنكم تكفوني ولكني أكره أن أتميز عليكم ، فإن الله يكره عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه) ، وقام وجمع الحطب .

9- كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة ، ليست له راحة ، ولا يتكلم في غير حاجة ، طويل السكوت ، ويتكلم بجوامع الكلم ، فصلاً لا فضول فيه ، ولا تقصير ، دمثاً ليس بالجافي ولا بالمهين يعظم النعمة وإن دقت ، لا يذم شيئاً ، لا يغضب لنفسه ، ولا ينتصر لها سماحة – وإذا أشار بكفه كلها وإذا تعجّب قلبها وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه ، جُل ضحكه التبسم.

10- كان يؤلف أصحابه ولا يفرقهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، وكان يتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما في الناس ، ويحسن الحسن ويصوبه ، ويقبح القبيح ويوهنه ، معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا لكل حال عنده عتاد ،لا يقصر عن الحق ، ولا يجاوزه إلى غيره.

11- كان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذِكر ، ولا يوطن الأماكن – ولا يميز لنفسه مكاناً- إذا انتهى إلى القوم جلس حيثُ ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك ، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، وقد وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق متقاربين ، يتفاضلون عنده بالتقوى ، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ، يتعاطفون بالتقوى ، ويوقرون الكبير، ويرحمون الصغير ، ويرفدون ذا الحاجة ويؤنسون الغريب .

12- كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا سخاب ، ولا فاحش يتغافل عما لا يشتهي ، قد ترك نفسه من ثلاث : الرياء والإكثار ، وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : لا يذم أحداً ، ولا يعيره ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلم أطرق جلساؤه ، كأنما على رءوسهم الطير ، إذا سكت تكلموا . لا يتنازعون عنده الحديث ، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث أولهم ، يضحك مما يضحكون منه ، ويعجب مما يعجبون منه . كان ﷺ يتحلى بصفات الكمال المنقطعة النظير أدبه ربه فأحسن تأديبه[35].

الخاتمـــــــــــة

وفي نهاية هذا البحث ألخص ماتوصلت إليه من نتائج :

1- إن دراسة السيرة النبوية تُعد غذاء القلوب وبهجة النفوس ، وسعادة الأبدان ، بل هي جزء من دين الله ﷻ . وعبادة يتقرب بها إلى الله تعالى ؛ لأن حياة الرسول ﷺ حياة بذل وعطاء وصبر ومثابرة ومصابرة وجد واجتهاد في تحقيق العبودية لله تعالى .

2- إن سيرة النبي ﷺ وهديه القويم تعد ميزانا توزن في ضوئه الأعمال ، فما كان فيها موافقاً لهديه وسلوكه ﷺ فهو المقبول ، وما كان منه ليس موفقاً لهديه وسلوكه ﷺ فهو المردود .

3- ثم أن السيرة النبوية باب من أبواب زيادة الإيمان وتقويته قال تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ (المؤمنين :69) ومعرفة هديه وآدابه وأخلاقه موجبة للإيمان لمن لم يكن آمن بعد وموجبة لزيادة الإيمان في حق المؤمن .

4- إن في دراسة السيرة النبوية عوناً لفهم الدين كله عقيدة وعبادة وخلقاً؛ لأن حياته ﷺ هي حياة عمل لهذا الدين قياماً به ودعوة إليه وتضحية وجداً واجتهاداً وجهاداً لنصرة هذه العقيدة .

5- إن السيرة فيها تعلم للنهج الصحيح في الدعوة إلى الله على بصيرة لا بد فيها

من معرفة هديه ونهجه صلوات الله وسلامة عليه، والسيرة النبوية مشتملة على بيان هديه في الدعوة من حيث بدايته ومن حيث طريقته وأسلوبه ، وأخلاقه وآدابه وتعاملاته ورفقته إلى غير ذلك من الأمور التي هي مقومات للدعوة إلى الله تعالى .

6- إن السيرة النبوية هي آية من آيات نبوته ﷺ وعلم من أعلام صدق ما جاء به ﷺ .

7- تعتبر السيرة النبوية باب عظيم من أبواب السعادة بل أن السعادة متوقفة على معرفة هدي النبيﷺ والسبيل إلى السعادة في الدنيا والآخرة .

8- إن شمائله وسيرته العطرة تعد منهج حياة لكل مسلم يرجو الخير لنفسه والحياة الكريمة في الدنيا والآخرة يتربى عليها الأبناء وينشأ عليها الأجيال.

9- المجتمع المسلم اليوم تختل فيه القيم والموازين؛ بسبب ما تتبعوا من قدوات تافهة وضائعة فما أحوج هؤلاء إلى العودة الصادقة إلى هذه السيرة العطرة والقدوة الحسنة حتى يتحقق لهم الصلاح والعلاج والسعادة بإذن الله في الدنيا والآخرة .

الهوامش:

1- القاموس المحيط – الفيروزأبادي– مادة (أثر).

2- الوافي معجم وسيط في اللغة العربية – عبد الله البستاني – –(أثر).

3- المصباح المنير – للرافعي– مادة (أثر) .

4- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ – الحلبي تح:عبد السلام الحلبي–(أثر).

5- مفردات الألفاظ – الراغب الأصبهاني ، ص 62 .

6- عمدة الحفاظ ،الحلبي ، ص97 .

7- رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين باب جامع صلاة الليل .

8- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ص (568) .

9- رواه البخاري ، كتاب الحدود ، باب الانتقام لحرمات الله ،ج 4 ، ص (217).

10- صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب مُباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح أسهله ، رقم 2328 .

11 الجامع لأحكام القرآن ، محمد القرطبي ، 711/3.

12- رواه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه ، رقم 2603

13- فقه السيرة ، محمد سعيد البوطي ، ص 62.

14- رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال اتصف بهن من وجد حلاوة الإيمان.

15 – رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب محبة رسول –ﷺ–

16- ا لشفاء في التعريف بحقوق المصطفى ، القاضي عياض ، ص (280) .

17- أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كان يمين النبي.

18- أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب حب الرسول من الإيمان.

19- حديث أخرجه الترمذي صف القيامة والرفاق (فيه نظر)إعادة تخريج .

20 – خرجه البخاري ، كتاب حديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

21- أخرجه الترمذي ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع .

22- التبصرة ، عبد الرحمن بن الجوزي ، ص327 .

23- سنن أبي داوود كتاب الملاحم، باب رقم (17) سنن الترمذي ، كتاب الفتن ، باب رقم (9) .

24- الرحيق المختوم ، صفي الرحمن المباركفوري ص 147.

25- زاد المعاد ابن القيم ، ج 1 ، ص38 .

26- المسند الجامع ،154/14 ، وهو في شمائل النبي- ﷺ – للترمذي ص(192/191).

27 – رواه أبو داوود ، كتاب الطهارة ، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة .

28- صحيح البخاري، كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين.

29- رواه مسلم ، كتاب الطلاق ، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاق إلا بالنية ، رقم 1478 .

30- أخرجه مسلم، وينظر: خطب الرسول–ﷺ–، تح: نواف الجراح، دار صادر، بيروت، ط2 ،2010 م،(645)، ص328.

31- ينظر فقه السيرة ، محمد البوطي ، ص (101).

32 ـ السيرة النبوية ، ابن هشام ، ج 2\52

33- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، ص47 .

34- دلائل النبوة ، أبي نعيم الأصفهاني ، ج2، ص:338 .

35- ينظر الرحيق المختوم ، صفي الرحمن المباركفوري، ص (414).

قائمة المصادر والمراجع:

[1]- التبصرة عبد الرحمن بن الجوزي ، تح: مصطفى عبد الواحد ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

[2]- تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل ابن كثير، تح : حامد أحمد الطاهر، دار الفجر بيروت، الطبعة الأولى ، 2002م.

[3]- الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي ، محمد إبراهيم الحفناوي ، دار الحديث القاهرة ط 2002 م.

[4]- دلائل النبوة ، أبو نعيم الأصبهاني، تح : محمد قلعجي وعبد البر عباس، دار النفائس بيروت ،الطبعة الأولى 1986.

[5]– رحمة للعالمين ، عائض القرني ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى، 2002م.
[6]– الرحيق المختوم ، صفي الرحمن المباركفوري، دار الوفاء، الطبعة الرابعة، 2014 م.
[7]– زاد المعاد ، ابن القيم ، تح : يحي مراد ، مكتبة مصر.
[8]– سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، 1973م.
[9]– السيرة النبوية ، لابن هشام ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، الطبعة الثانية، 2004 م.
[10]– الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض ، تح :عامر الجزار ، دار الحديث، القاهرة.
[11]– الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى، القاضي عياض، تح:عامر الجزار، دار الحديث، القاهرة.
[12]– شمائل النبي ، محمدبن عيسى الترمذي، تح : ماهر ياسين فحل ، دار الغرب الإسلامي ــتونس الطبعة الأولى 1000م
[13]– صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، القاهرة مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، 2004 م.
[14]– صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، تح:عبد العزيز بن باز ، دار الوليد، طرابلس.
[15]– عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، أحمد الحلبي، تح: عبد السلام الحلبي،دار الكتب الوطنية بنغازي الطبعة الأولى ، 1995.
[16]– فقه السيرة النبوية ، محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر، دمشق ، 1979م.
[17]– القاموس المحيط ، مجدالدين الفيروزأبادي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى.
[18]– المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، دار القلم ، بيروت .
[19]– مفردات الألفاظ ، الراغب الأصبهاني، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق ، الطبعة الثالثة ،2002
[20]– الوافي معجم وسيط في اللغة العربية ، عبد الله البستاني ، مكتبة لبنان.